ريق شبه مسدود، مع نهاية القرن الماضي، كانت الفكرة الصهيونية تنتعش في مكان اخر،
ضل يهودي هنغاري الاصل ، يدعى الدكتور تيودور هرتسل ، كان قد انتقل للعيش
، باريس ليعمل فيها مراسلا لصحيفة نمساوية . وهرتسل مؤلف كتاب « دولة اليهود »
١٨٩٦ ) ، احد الكتب الصهيونية الرئيسية ، ومؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ،
ي المؤتمر الصهيوني الاول ( ١٨٩٧ ) ، واول رئيس لها .

تاثر هرتسل اثناء وجوده في باريس — هكذا يقول في مذكراته — بظواهر اللاسامية
والعداء لليهود التي برزت اثناء محاكمة ضابط يهودي فرنسي ، يدعى درايفوس ، كان
قد اتهم زورا بخيانة بلاده وتسليم معلومات عسكرية الى المانيا ، واستمرت محاكمته
وقتا غير قصير ، الى ان ثبتت براءته في النهاية . ويبدو ان ظواهر العنصرية اللاسامية
تلك قد اثرت على تفكير هرتسل ونشاطه اكثر مما ينبغي ، بحيث دفعته الى الترويج
لعنصرية مضادة . ففي كتابه « دولة اليهود » الذي يدعو فيه للعمل على حل المسألة
اليهودية بواسطة اقامة دولة لليهود ، ينطلق هرتسل من فرضيات تثير الاستغراب ،
منها ان كل الشعوب التي يعيش اليهود بينها لاسامية ، « بعضها بقناع وبعضها بدون
قناع » ، والمسألة اليهودية قائمة في كل مكان يوجد فيه يهود ، وتبرز مجددا في كل مكان
يصلون اليه ، وان الشخصية اليهودية لن تسمح لنفسها ، ولن يسمح لها ، بالزوال
لان أعداءها يعملون على تكتلها ، بعد ان جعلوا من اليهود شعبا واحدا . والواضح ان
هرتسل بفرضياته هذه ينزع الثقة من كل شعوب العالم ، ولا يأمل منها اي خير تجاه
اليهود — والطريق بين مثل هذه المعتقدات وبين العنصرية ليس طويلا . ويلاحظ ايضا
ان هرتسل ، في تعامله السياسي مع الدول التي كان بحاجة لمساعدتها لتأمين تنفيذ
مشروعه الصهيوني ، ينطلق ايضا من هذه الفرضيات ، اذ لم يجد ما يقوله للدول
الاوروبية ، في محاولة منه لحملها على تأييد منظمته ، الا وعدها بان الصهيونيين
سيكونون في فلسطين بمثابة « سور تجاه اسيا وطلائع لحراس المدنية ضد البربرية » .
ولكن رغم ذلك لا نراه يكن احتراما كبيرا لتلك الدول ، او ممثليها ، ولا لغيرهم . ففي
مذكراته يصف هرتسل ، مثلا ، كيفية مقابلته للممثل البابوي في فيينا بقوله انه دخل الى
مقره بعد ان تلفت حوله ، يمينا ويسارا ، خشية ان يراه احد ، « كمن يدخل الى بيت
اساسه رديء » ، وخلال مقابلته مع سلطان تركيا ، لمفاوضته بشأن اقامة دولة
يهودية في فلسطين ، لفت نظره اسنان السلطان « الطويلة الصفراء » .

لم يسفر نشاط هرتسل السياسي ، منذ عقد المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧
وحتى وفاته سنة ١٩٠٤ عن مكاسب صهيونية تذكر ، عدا عن اقامة المنظمة الصهيونية
العالمية ووضع الاسس للاجهزة التابعة لها ( وهي انجازات صهيونية مهمة بحد ذاتها ) .
ولكن خلال عهده وضعت الاسس لمؤسسة تعتبر من اكثر المؤسسات الصهيونية
عنصرية ، وهي شركة الكيرن كاييمت لاسرائيل (JNF) ، وارسيت القواعد التنظيمية
« الفلسفية » لاكثر التجمعات الصهيونية عنصرية ، ونقصد بهذا الصهيونيين المتدينين .

اقيمت شركة الكيرن كاييمت باعتبارها الاداة الرئيسية للحركة الصهيونية لشراء
الاراضي في فلسطين . وبصفتها هذه ، ادخل الى عقد تأسيسها بند رئيسي ينص على
ان الاراضي التي تشتريها ستكون ملكا دائما لليهود ، دون غيرهم . وقد عملت الشركة
على تطبيق هذه السياسة بشكل صارم للغاية ، ودون هوادة ، بحيث لم تنتقل قطعة
ارض من اراضي فلسطين الى ملكيتها الا وعملت اولا على طرد العمال الزراعيين العرب
منها وسلمتها لليهود لاستغلالها ، محرمة عليهم حتى السماح للعرب بالعمل لديهم كعمال
ماجورين ، وبموجب شروط قاسية تخولها استرجاع تلك الارض اذا اخل المستوطن